

فلسفة التصوّر الاستعاري في ظل البحث المعرفي

The Philosophy of Metaphorical Perception in the Context of Cognitive Research

د/زكية يحياوي¹

¹ جامعة الجزائر 2 (الجزائر)، zakia.y@hotmail.fr

تاريخ الاستلام: 2023/05/29 تاريخ القبول: 2023/09/20 تاريخ النشر: 2023/10/06

ملخص: تهدف هذه الدراسة إلى الوقوف على التأسيس للتصور والنسق الاستعاري في ضوء العلم المعرفي القائم على فكرة التفاعل الموجود بين فئات المجتمع، وكنتيجة لهذا التفاعل حمل التصوّر الاستعاري كل ممارسات الفرد الاجتماعية والثقافية الإيديولوجية، فهي (الاستعارة) جزء من سلوكاته وانفعالاته، لذا تعتبر وسيطا بين الذهن البشري والمحيط الخارجي.

لقد اهتم الباحثون في مختلف التخصصات بالمعرفة وطبيعتها وبالنشاط الذهني والتخيلي في عملية الإدراك والتذكر والاستيعاب والتخيل، فشاركت بعض العلوم (الطب، البيولوجيا، علم النفس، علوم اللغة....) في الإجابة عن الكثير من الأسئلة المتصلة ببنية المعرفة ومكوناتها، فالعلوم المعرفية هي جملة من العلوم التي تبحث في اشتغال الذهن وعلاقة ذلك بالفلسفة وعلم النفس والذكاء الاصطناعي، واللسانيات وغيرها، وهي كلها تمد بصلة للإدراك والتفكير والتخيل، واللغة التي عني علم النفس المعرفي بدراستها تمد بعلاقة وطيدة بإنتاج النسق الاستعاري وفلسفة تصوره في أنواع الخطاب.

كلمات مفتاحية: الاستعارة، التصوّر الاستعاري، النسق، الثقافة، العلوم المعرفية، التخيل، الإدراك، علم النفس، الفلسفة، التفكير، التأويل.

Abstract: This study aims to stand on the establishment of the metaphorical perception and pattern in the light of cognitive

science based on the idea of interaction that exists between the groups of society, and as a result of this interaction the metaphorical perception carried all the individual's social, cultural and ideological practices. people and the external environment.

Researchers in various disciplines have been interested in knowledge, its nature, and mental and imaginative activity in the process of perception, remembering, comprehension, and imagination. Some sciences (medicine, biology, psychology, language sciences...) participated in answering many questions related to the structure of knowledge and its components. Cognitive sciences are A number of sciences that investigate the functioning of the mind and its relationship to philosophy, psychology, artificial intelligence, linguistics, and others, all of which provide a connection to perception, thinking, and imagination.

Keywords: metaphor, metaphorical perception, pattern, culture, cognitive science, imagination, perception, psychology, philosophy, thinking, interpretation.

*المؤلف المرسل: زكية يحياوي

تمهيد: استعارة ما قبل الدراسات المعرفية

رّكّز أرسطو في دراسته للاستعارة على فكرة النقل وقال إنّها: "نقل اسم يدل على شيء ما إلى شيء آخر، ويتم هذا النقل إمّا من جنس إلى جنس، أو من نوع إلى نوع أو باعتماد المماثلة" (إيكو، 2005، صفحة 453) وهذا النقل يتم بإحدى الوسائل الآتية (طاليس، صفحة 58):

- الانتقال من جنس إلى نوع: ومعنى هذا أن نستبدل الجنس بالنوع، على نحو ما يمثّل أرسطو بقوله: "هنا توقفت سفينتي" لكون الإرساء ضرباً من التوقف.

يلاحظ في هذا النمط من النقل في الاستعارة "شكل من الترادف يرتبط إنتاجه وتأويله بشجرة فورفوريوس (بورفيريو)* كما أنّ الجنس لا يكفي للتعريف بالنوع، فالجنس المتمثل في الوقوف لا يكفي للتعريف بالنوع المتمثل في الإرساء" (إيكو، 2005، صفحة 247)

– الانتقال من النوع إلى الجنس:

لتوضيح هذا النوع يقدم أرسطو المثال الآتي: "أجل، لقد قام أوديسوس بآلاف من الأعمال المجيدة" (صفحة 247)

يظهر من خلال هذا المثال أنّه استعمل (آلاف) في مقام كثير، فهو جنس تكون منه الآلاف نوعاً، "فلو كان من الضروري أن يكون الإنسان حيواناً والإرساء يتضمن بالضرورة الوقوف، فإنّه من غير الضروري أن تدلّ الآلاف على شيء كثير، وحتى إذا افترض أنّ الإنسان والحيوان متساويان في وصف معين، فإنّ هذا الإطار أوسع من الإطار والوصف اللذين يعتبران أنّ آلاف كمية كبيرة أضيق من الإطار الذي يعتبر فيه الإنسان حيواناً" (صفحة 248)

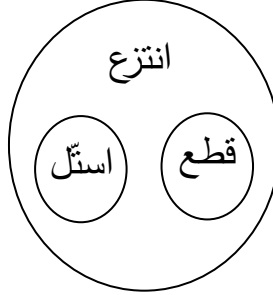
يرجع "أمبرتو إيكو" سبب عدم تفتّن أرسطو لهذا، إلى أنّ عبارة (آلاف) في اصطلاح اللغة اليونانية في القرن الرابع قبل الميلاد، تستعمل لتعني كمية كبيرة، وهذا النوع من الاستعارة حسبه أكثر مقبولية من النمط الأول.

– الانتقال من النوع إلى النوع:

وذلك استناداً إلى قول أرسطو: "انتزع الحياة بسيف من نحاس وعندما قطع بكأس متين من نحاس" لأنّ (انتزع) هنا بمعنى قطع، وقطع بمعنى انتزع، وكلا القولين يدلّان على تصرّم الأجل.

يلاحظ من خلال هذا المثال الذي اقترحه "أرسطو" أنّ (استلّ وقطع) هما حالتان من حالة أشمل هي (انتزع)، ويبدو هذا النمط من بين الاستعارات الأكثر شرعية، وفي هذا الصدد يذهب "أمبرتو إيكو" إلى القول إنّّه توجد مشابهة بين

(استل وقطع) ما يجعل البنية المنطقية والحركة التأويلية تتمثلان على هذا النحو:
(صفحة 249)



يسوق "أمبرتو إيكو" أمثلة من الواقع، ففي عبارة: "سن الجبل" نجد أنّ السن والجبل يشتركان في جنس "شكل مدبّب"، أمّا في عبارة "إنّها غصن بان" إنّ الفتاة والبان يشتركان في جنس "جسم لين" جنس "شكل مدبّب"، فالبان يصبغ بخاصية بشرية، وكذا الفتاة تصبغ بخاصية نباتية.
فإذا كان هذا هو التصور الاستعاري الأرسطي فماذا عن التصور الاستعاري في الموروث العربي؟

• التّصور الاستعاري عند بعض البلاغيين العرب:

لم تنل الاستعارة القسط الذي لقيه التشبيه من الاهتمام والدراسة من طرف النقاد والبلاغيين العرب، غير أنّ هذا لا ينفي وجود بعض المحاولات التي يمكن أن تعدّ بمثابة اللبّات الأساسية لبناء تصوّر في الاستعارة.
يذهب الجاحظ في تعريفه للاستعارة بأنّها "تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه" (الجاحظ، 1998، صفحة 153). لقد حصر مفهوم الاستعارة في الاستبدال المقترن بالمقام، في حين أنّ تعريف أبو الهلال العسكري هو الأقرب للتصوّر الأرسطي في تركيزه على فكرة النقل، إنّها "نقل العبارة عن موضوع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره"⁽⁸⁾. (العسكري، صفحة 274)

كما انتبه "ابن قتيبة" إلى طبيعة العلاقة بين ركني الاستعارة عند العرب فقال إنّها "تستعير الكلمة فتضعها مكان الكلمة إذا كان المسعى بها بسبب من الأخرى أو مجاورا لها أو مشاكلا لها" (قتيبة، 1973، صفحة 102). في حين يعرف الرّماني الاستعارة بأنّها "تعليق العبارة على غير ما وضعت في أصل اللغة على جهة النقل والإبانة" (الرماني، صفحة 118). ربط الرماني الاستعارة بالتعاليق، وهو المصطلح الذي نسجل له حضورا في الدراسات البلاغية الحديثة، إضافة إلى هذا هناك مصطلحات أخرى مثل المجاورة والتشاكل. إنّ كل هذه التعاريف تتفق في كون "الاستعارة هي الانتقال والاستبدال في الدلالة" (عبد الفتاح، صفحة 118)

تهدف هذه الدراسات إلى إبراز الأسس، التي تقوم عليها الاستعارة، والتمييز بين الاستعارات القبيحة والاستعارات الجيدة، "فكلّما كانت العلاقة التي تربط المستعار والمستعار له صحيحة عقليا وكان المستعار قريبا من المستعار له ومشابها كانت الاستعارة قريبة ومقبولة، وإلا خرجت عن حدودها إلى الشناعة والهجنة والبعد عن الصواب" (أبو القاسم، 1994، صفحة 234).

أما من وجهة نظر عبد القاهر الجرجاني، الذي يذهب إلى أنّ الاستعارة "ضرب من التشبيه ونمط من التمثيل، والتشبيه قياس، والقياس يجري فيما تعيه القلوب وتدركه العقول، وتستفتي فيه الأفهام والأذهان، لا الأسماع والآذان" (الجرجاني، 1988، صفحة 15) إنّها نوع من أنواع التشبيه، الذي في نظره عبارة عن القياس المرتبط بالعمليات الذهنية، ضف إلى ذلك أنّ "الاستعارة في الجملة أن يكون لفظ الأصل في الوضع اللغوي معروفا تدلّ الشواهد على أنّه اختصّ به حين وضع، ثمّ يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل وينقله إليه نقلا غير لازم، فيكون هناك كالعارية" (صفحة 22).

إنّ الاستعارة بمنظوره مرتبطة بالنقل، نقل الكلمة من معناها اللغوي إلى المعنى المجازي المبني على المشابهة، كما نلتمس "وجود شبه في التصوّر بين العارية

زكية يحياوي

والاستعارة، فإذا كانت العارية لا تعار إلّا في إطار التقارب بين شخصين، فإنّ هذا التقارب وارد في الاستعارة التي تقتضي بدورها وجود علاقة بين طرفيها، ثمّ إنّ العارية لا تفقد انتماءها إلى صاحبها الأصلي بمجرد انتقالها إلى الثاني إلّا على سبيل الإعارة" (عبد الإله، 2001، صفحة 59)، ويضيف عبد القادر أنّ الاستعارة عملية إدعاء، أي ليس نقل الاسم من الشيء وإنّما إدعاء معنى الاسم للشيء، فالإدعاء يعني التطابق الموجود بين المشبه والمشبّه به إلى درجة تمكّن المستعير من جعل أحدهما الآخر.

شغلت هذه الفكرة (فكرة الادعاء) معظم الباحثين نحو "طه عبد الرحمن" الذي وضع مبادئ تساعد على بيان خصائص الادعاء التي تتمثّل في (عبد الرحمن، 1988، صفحة 305):

- مبدأ ترجيح المطابقة: مقتضاه أنّ الاستعارة ليست في المشابهة بقدر ما هي المطابقة.
- مبدأ ترجيح المعنى: مقتضاه أنّ الاستعارة ليست في اللفظ بقدر ما هي المعنى.
- مبدأ ترجيح النظم: مقتضاه أنّ الاستعارة ليست في الكلمة بقدر ما هي التركيب.

تمسّ الاستعارة التركيب ككل ولا تقتصر على الكلمة، كما أنّها تقع في المعنى المبني على المطابقة بين ركنيها، وقد فصلّ "طه عبد الرحمن" في القول في وجوه اشتغال "عبد القاهر الجرجاني" بهذه المبادئ في مجال الخطاب الاستعاري.

• التصور الاستعاري في ظل الدراسات المعرفية:

انتبه الباحثون في العصر الحديث إلى أنّ الاستعارة لم تعد مقتصرة على اللغة كما كانت من قبل، بل توجد في كل تفكيرنا والأعمال التي نقوم بها، إنّها مرتبطة ارتباطا وثيقا بمجالات الحياة جميعها: "إنّ جزءا هاما من تجاربنا

فلسفة التصوّر الاستعاري في ظل البحث المعرفي

وسلوكتنا وانفعلاتنا استعاري من حيث طبيعته، وإذا كان الأمر كذلك فإنّ نسقنا التصوري يكون مبنيا جزئيا بواسطة الاستعارة، وبهذا لن تكون الاستعارات تعابير مشتقة من "حقائق" أصلية بل تكون هي نفسها عبارة عن "حقائق" بصدد الفكر البشري والنسق التصوري البشري" (لايكوف وجونسون، 2005، صفحة 12).

تجعلنا الاستعارات ندرك العالم من حولنا ونمارس فيه تجاربنا "فالقدرة على التجربة عن طريق الاستعارة تعد معنى في حد ذاتها، وهي في مثل ذلك مثل استخدام حاسة الرؤية أو حاسة اللمس في حصول بعض الإدراكات، وهذا يعني أنّنا ندرك مظاهر العالم ومكوّناته ولا نباشر التجربة إلّا عن طريق بعض الاستعارات، فالاستعارات تلعب دورا يوازي من حيث أهميته ذلك الدور الذي تلعبه حواسنا في مباشرة إدراك العالم وممارسة تجربته" (12).

1. التصوّر الاستعاري عند جورج لايكوف ومارك جونسون:

يدحض كتاب "الاستعارات التي نحيا بها" لمؤلفيه جورج لايكوف ومارك جونسون التصوّر الذي يعزل ذهن الإنسان وجسده عن باقي أنحاء عناصر العالم الخارجي، ويقصي من الاعتبار فاعلية الجسد والخيال والثقافة في تنظيم العالم (لايكوف، 2005، صفحة 8-9).

يذهب الباحثان إلى أنّ الاستعارة في ظل العلوم المعرفية مختلفة، إنّها "ليست آلية لغوية تستعمل فقط للتجميل المجازي للغة المباشرة الصريحة، إنّها ليست طلاء أسلوبيا اختياريا، بل إنّها لتعلّم بنية الأنساق التصورية، إنّها آلية أساسية لترميز المعرفة وبناء سننها، إنّها جزء من خطابنا اليومي" (لايكوف وجونسون، 2005، صفحة 14) فالتجربة البشرية تلعب دورا هاما في تنظيم العالم.

ويؤكد الأزهر الزناد على أنّ "الاستعارة ظاهرة مركزية غالبية في دلالة الكلام العادي اليومي وهي جزء من الفكر من حيث مثلت أداة في تصوّر العالم والأشياء

وتمثّلها في جميع مظاهرها فهي جزء من النظام العرفيّ" (الزناد، 2010، صفحة 142) فللاستعارات دور أساس في بناء الواقعة الاجتماعية والثقافية والذهنية. ويمكن أن تحلل الاستعارة بوصفها نظاما من التوافقات الجزئية (التشاكلات) بين ميدان مصدر وميدان مستهدف مع الاحتفاظ العام بالدلالة، وبالتالي نفكر في الميدان المستهدف باستعمال المعارف والاستدلالات الخاصة بالميدان المصدر، فالاستعارة هي وسيلة لخلق معان جديدة (صابر، 2011، صفحة 70)

2. تصور أمبرتو إيكو:

يرى "أمبرتو إيكو" أنّ الاستعارة أرقى الصور البيانية، لأنّها تغطي حسبه النشاط البلاغي بكل تشعباته، يتضح ذلك في قوله: "إنّ الحديث عن الاستعارة يعني الحديث عن النشاط البلاغي بكل ما فيه من تعقيد" (إيكو، 2005، صفحة 234) نظرا للعلاقات التي تجمع بين الاستعارة والوجوه البيانية الأخرى، إذ لا يمكن الحديث عن الاستعارة دون التعرّض إلى التشبيه أو المجاز أو الكناية، كما يعني الحديث عن الاستعارة عند "إيكو" أيضا تطرّقا للرمز والفكرة والأنموذج الأصلي والحلم والرغبة والهذيان والطقس والأسطورة والسحر والإبداع والمثال والأيقونة والتمثيل واللغة والعلامة والمدلول والمعنى.

ينطلق "إيكو" في دراسته للاستعارة من فكرتين: فكرة أفضلية الاستعارة وفكرة شموليتها فأفضليتها تكمن أنّها "ألع الصور البيانية، ولأنّها ألعها فهي أكثر ضرورة وكثافة" (صفحة 233) أمّا شموليتها فتكمن في أنّ "اللغة بطبيعتها، وفي الأصل استعارية، إذ تُؤسس الآلية الاستعارية النشاط اللغوي، وكل قاعدة أو مواضعة لاحقة تولد بقصد تحديد الثراء الاستعاري" (صفحة 235) ويندرج تحت فكرة شمولية الاستعارة وتغلغلها في اللغة عند "إيكو" مفهومان اثنان: الأوّل أنّ اللغة وكل نظام سيميائي آخر آلية تقوم على المواضعة وعلى قواعد، فهي آلة

فلسفة التصوّر الاستعاري في ظل البحث المعرفي

تقديرية تحدّد ما يمكن إنشاؤه من جمل وما لا يمكن من ذلك. كما تحدّد ما يمكن اعتباره من بين الجمل الممكن إنشاؤها "حسناً" أو "صحيحاً" أو محتملاً بمعنى، وتمثل الاستعارة في هذه الآلة "اللغة" الرجة أو العطب الذي يصيب هذه الآلة، والثاني أنّ اللغة تعدّ محرّك التجديد، ومن ثم فهي فضاء واسع للإبداع (الصفحات 235-236)، وعليه فالباحث يرى في الاستعارة أداة معرفية.

ويؤكد على هذه الوظيفة المعرفية للاستعارة بالقول أنّ هذه الأخيرة لا تهمّه باعتبارها زخرفاً، لأنّها لو كانت زخرفاً فقط (أي أن نقول بعبارة ميله ما يمكن قوله بطريقة أخرى) لكان بالإمكان تفسيرها بعبارة نظرية الدلالة الصريحة، ويلجّ "إيكو" على أنّها تهمّه (الاستعارة) باعتبارها أداة المعرفة (صفحة 237).

لقد استبعد البلاغيون والنقاد كل استعارة يظهر فيها التلاؤم بين المعنى الحقيقي والصورة المجازية كالتلاؤم بين المرأة والغزالة، فالتناسب بين أطراف التشبيه (المشبه والمشبّه به) يؤدي إلى التناسب في الاستعارة كذلك، ويرفضون كل استعارة فقدت هذا التلاؤم، كيف لا وهي (الاستعارة) مبنية عليه.

3. تصوّر بول ريكور:

يذهب "بول ريكور" إلى أنّ الاستعارة تعني أساساً بعلم دلالة الجملة، ولا تتعلق بعلم دلالة الكلمة المفردة، إنّها ظاهرة إسناد لا تسمية مادامت لا تحظى بالمغزى إلّا في القول، كما أنّها حاصل التوتر الذي يجمع بين مفردتين في قول استعاري، كما أن التوتر الذي تعثر عليه في القول أو المنطوق الاستعاري لا يتوقف عند حدود المفردتين فقط، بقدر ما يتعلق بالتوتر الذي يربط بين التأويلين المتعارضين للقول وهو الذي يغذي الاستعارة، وبهذا فالاستعارة غير موجودة في ذاتها بل تتواجد في التأويل ومن خلاله (ريكور، 2003، صفحة 90).

نكية يحياوي

ويعتبر "بول ريكو" أنّ الاشتراك الدلالي يمثّل القاعدة التي تقوم على أساسها ظاهرة نقل المعنى المخصوصة للاستعارة التي هي أكثر من أن تكون وجهاً بياني، ثمّة ما هو استعاري أساسي يقود عملية تكوين الحقول الدلالية (صابر، صفحة 68). يؤكد "ريكو" أنّ الاستعارة لا تنبني على المشابهة، وإنّما تنطوي على اختزال الصدمة المتولدة جراء التقاء فكرتين متناقضتين، كما أنّها تقيم علاقات معنوية بكر وجديدة غير موجودة سلفاً، عندما يقول شكسبير "الزمن شحاذاً" فهو يعلمنا رؤية الزمن وكأنّه شحاذ، ودرجة التوتر بين الطرفين بعيدة جداً، وفي اجتماع هذين الطرفين المتباعدين يكمن عمل المشابهة (ريكور، 2003، الصفحات 91-92).

لهذا يرى أنّ الاستعارة ترتبط بالرمز في جانبه الدلالي، تعدّ العنصر الكاشف المناسب لإضاءة هذا الجانب الذي له باللغة، حيث تقدّم العلاقة بين المعنى الحرفي والمعنى المجازي في منطوق استعاري دليلاً مناسباً يتيح أن نحدّد على نحو صحيح السمات الدلالية للرمز، وهذه السمات هي التي تربط صورة كل رمز باللغة، وعليه تضمن وحدة الرموز، ولكي تضمن وحدة الرموز، وتؤدي الاستعارة وظيفتها في الكشف عن الشق الدلالي للرمز، يؤكد "ريكور" على ضرورة دراستها وفق النظرية التفاعلية لا الاستبدالية، حيث يعمل التوتر القائم في الاستعارة على إيجاد كل الدلالات الممكنة عن طريق التفاعل، ممّا يؤدي إلى اتساع المعنى في الاستعارة، وهذا ما يحدث في الرمز، إذ يعمل بمعناه العام بصفته فائض دلالة، وبحث الاستعارة وفق النظرية التفاعلية، يبين كذلك عمل الاستعارات كسلسلة أو كشبكة متلاحمة تستدعي فيها كل استعارات أخرى وتؤثر فيها عن طريق التفاعل ممّا يضمن لها الحيوية والاستمرارية، حيث تبقى الاستعارة حية بالحفظ على قدرتها في استحثاث الشبكة الدلالية وتوليد معاني جديدة تمنعها من الاضمحلال (ريكور، 2003، صفحة 109).

فلسفة التصوّر الاستعاري في ظل البحث المعرفي

تختلط الاستعارة حين تتناولها الجماعة اللغوية وتقرّبها بامتداد لا حصر له من الكلمات متعددة المعاني، في البداية تبتدل الكلمة ثمّ تتحول إلى استعارة ميتة، وفي المقابل، لأنّ الرموز تمدّ جذورها في أصقاع الحياة والشعور والعالم، ولأنّ لها ثباتا استثنائيا، فإنّها تفضي إلى التفكير بأنّ الرمز لا يموت، بل تحوّل فقط. من هنا، إذا تشبّثنا كما يؤكد بول ريكور بمعيار الاستعارة، فلا بد أن تكون الرموز استعارات ميتة (صفحة 108).

يؤكد ريكور في هذا المقام على علاقة الاستعارة بالرمز، وهي علاقة تداخل بين الجانب الرمزي في الاستعارة والجانب الاستعاري في الرمز، لذلك يخلص إلى وجوب تقبّل قضيتين متعاكستين حول العلاقة بين الاستعارات والرموز، فمن جانب تكون الاستعارة أكثر اتساعا من الرمز لأنّها تزوّد اللغة بعلم دلالة ضمني للرموز، وما يبقى مختلطا في الرمز هو دمج شيء بآخر، ودمجنا بالأشياء، والتجارب اللانهائي بين العناصر يتم توضيحه في توتر المنطوق الاستعاري. ومن ناحية أخرى فإنّ الرمز أكثر اتساعا من الاستعارة، إنّها ليست سوى إجراء لغوي؛ أي شكل غريب من أشكال الإسناد يختزن في داخله قوة رمزية، ويظلّ الرمز ظاهرة ذات بعدين، حيث يشير وجهه الدلالي إلى وجهه اللادلالي، وهو مقيّد بطريقة لا تتقيّد بها الاستعارة. فالرموز جذور تدخلنا إلى تجارب غامضة، أمّا الاستعارات فليست سوى سطوح لغوية للرموز، وارتباط الاستعارة بالرمز بهذه الطريقة يعني ارتباط الرمز بالاستعارة، وهذه الطريقة يعني ارتباط الاستعارة بالبيئة الثقافية التي أنتجت هذا الرمز (صفحة 115).

يقترح بول ريكور المرور عبر ثلاث خطوات لتفسير الرموز وفق نظرية الاستعارة وتتمثل في (ريكور، 2003، صفحة 96):

- تحديد نواة الرمز استنادا إلى بنية المعنى القائم في مستوى الأقوال الاستعارية.
- عزل الطبقة اللغوية للرمز.

- يشكل الفهم الجديد المتولد للرموز مبعثا ومنطلق تصورات لاحقة في الاستعارة، وهذا ما يسمح لنظرية الرموز بإتمام نظرية الاستعارة. توصل بول ريكور إلى أنه ينبغي قبول قضيتين متعاكستين حول العلاقة الموجودة بين الاستعارات والرموز وهما (الصفحات 115-116):

- في الاستعارة أكثر ممّا في الرمز: تعمل الاستعارة بتزويد اللغة بعلم دلالة ضمني للرموز، كما يتم توضيح الأمور المختلطة في الرمز في ظل توتر المنطوق الاستعاري.

- في الرمز أكثر ممّا في الاستعارة: الاستعارة شكل غريب من أشكال الإسناد، ومجرّد إجراء لغوي، تختزن في داخلها قوة رمزية. الرمز يظلّ ظاهرة ذات بعدين، يشير الوجه الدلالي إلى الوجه اللادلالي، كما أنّ الرمز مقيّد، بينما الاستعارة غير مقيّدة، الرموز تمتلك جذورا، إذ تدخلنا إلى تجارب غامضة القوة، بينما الاستعارات ما هي إلّا مجردّ سطوح لغوية للرموز، ففي قوتها تدين للربط بين السطوح الدلالية والسطوح ما قبل الدلالية في أعماق التجربة الإنسانية لبنية الرموز ذات البعدين (صفحة 116).

• مقصدية التصور الاستعاري:

أولى "جون سورل" مسألة المعنى الاستعاري أهمية خاصة، حيث هدّم الفرضية التي تقول بازدواجية المعنى داخل الجملة، وذلك حين ميّز بين المعنى الحرفي وبين المعنى الاستعاري، ويرى أنّ الجملة تمتلك معناها فقط، أمّا الحديث عن المعنى الاستعاري فهذا يعني الحديث عن المقصديات الممكنة للمتكلّم، وعن إرادته في قول شيء ما بطريقة يتزاح فيها عمّا تعنيه العبارة في ذاتها (الحنصالي، 2005، صفحة 82).

يرى "جون سورل" أنّ المعنى الاستعاري هو دائما معنى تلفظ المتكلم (Searle، 1979، الصفحات 121-122)، إذ إنّهُ ميّز بين معنيين: الأوّل يتمثّل في معنى تلفظ المتكلم، أمّا الثاني يتمثّل في معنى الجملة، ومن أجل تأسيس نظرية للاستعارة ينبغي النظر في تحديد المبادئ التي توصل المعنى الحرفي للجملة بالمعنى الاستعاري للتلفظ، وهذه المبادئ لا تتعلّق بالقدرة الدلالية بالمعنى التقليدي للمصطلح، وإنّما السؤال يخصّ اشتغال الاستعارة داخل الخطاب وكيفية تمثّل الدلالة، حيث يكون في حالة التلفظ الحرفي معنى المتكلم ومعنى الجملة متطابقين، أمّا في حالة التلفظ الاستعاري، فإنّ شروط صدق القول لا تكون محدّدة بواسطة شروط صدق الجملة، ومن أجل فهم التلفظ الاستعاري فإنّ المستمع بحاجة إلى أكثر من معرفة اللغة، فمن واجبه أن يقوم بتهيئة مبادئ أخرى تسمح له بفهم أنّ المتكلم حين يريد أن يقول شيئا فإنّه يريد شيئا آخر (صفحة 130).

صحيح أنّ "جون سورل" أسهم كثيرا في معالجته للاستعارة، إلّا أنّ هذا لا يعني أنّه لم يقع في بعض الزلّات التي تكمن في (الحنصالي، 2005، الصفحات 83-84):

- استبعاد الطابع الملتبس للغة، الذي هو أساس البناء التفاعلي السياقي للاستعارة.

- إهماله لخاصية التفاعل بين موضوعات الخطاب ومحمولاتها، تلك التي تحقق إمكانية إنتاج وتوليد المعنى الاستعاري انطلاقا من البناءات السياقية الجديدة والمتكرّرة. إضافة إلى إهماله لنظرية التلقي التي يصير من خلالها الكاتب أو المتكلم قارئاً لعمله ويكون القارئ مسهما في بناء دلالات جديدة. وعدّ البعد الاستعاري مشتركا بين الجملة والتلفظ ما يمنح إمكانية تعدّد التأويل، ولا يقتصر على متكلم أو قارئ ينتميان إلى بيئة ثقافية واحدة.

زكية يحياوي

- استيعاده تعدّد المعنى المفترض داخل اللغة والخطاب من جرّاء إخضاعه الجملة لقراءتين هما الاستعارة والشرح، ما حال دون الالتفات إلى الطابع الابتكاري للغة.

- إنّ الطابع الابتكاري للغة يأتي بصفة تلقائية، فلا يكون للمتكلم وعي حقيقي فيما يخصّ بناء الاستعارة داخل ثقافته، ما دام تطوّر اللغة ينبني في كلّ حضارة على توالد المعاني وتعدّدها، وما دامت البنية التصورية للمتكلم قائمة على أساس الاستعارة.

ينبغي تأويل الثغرات المفتوحة داخل النسيج النصي للخطاب الشعري، والقابل لمختلف التأويلات، التي يعود اختلافها إلى العديد من الأنظمة المتحركة في ذهنية المحلّل (اعتقادية، ثقافية، بيئية) والمسؤول عن سدّ هذه الثغرات وترميمها. يجب أن تحتوي مقدمة المقال على تمهيد مناسب للموضوع، ثم طرح لإشكالية البحث ووضع الفرضيات المناسبة، بالإضافة إلى تحديد أهداف البحث ومنهجيته.

4. خاتمة

تشكل الاستعارة تحت منظور البلاغة الجديدة مظهرًا معرفيًا، فقد نهلت من مختلف العلوم العرفية كالسيمانيات وعلم النفس المعرفي والتجريبي، والفلسفة... الخ.

وتلعب الاستعارة دورًا بارزًا في حصول الفهم، فبواسطتها تتحقق الحقائق والأهداف وتنفذ المخططات وتقام التعهدات، فهي أساس بناء الواقع البشري بكل اختلافاته وتشعباته.

تختلف طريقة توظيف الاستعارة في الخطابات اليومية ومنها الأدبية، موظفة الثقافة، التي لها دور في تأويل هذه الاستعارة، فالتصورات التي تسلط الضوء عليها الاستعارة تختلف من بيئة ثقافية إلى أخرى متجاوزة في ذلك التحديد القاموسي للغة، فلكل مجتمع تصورات معينة وثقافة، ينجر عنه تأويل معين لهذه الاستعارات ما ينتج عنه تعدد التأويلات.

لذلك تنفتح الاستعارة على جملة من التأويلات وتتعدد بتعدد سياقات التواصل التي ترد فيها، وتتحكم فيها المعطيات الثقافية والاجتماعية والنفسية والبيئية والمقاصد، يقوم القارئ بعملية التأويل ويكشف عن أغوار النص وكنهه وإبراز المعاني قد تكون مجهولة حتى من المؤلف نفسه، وبالتالي فالتحديد القاموسي ليس كافياً بعملية التأويل وإنما ينبغي إضافة عامل السياق والتصور وما يفرزانه من معان جديدة.

5. قائمة المراجع:

- ابن قتيبة. (1973). *تأويل مشكل القرآن* (الإصدار 2). القاهرة: دار التراث.
- أبو الحسن علي بن عيسى الرّماني (بلا تاريخ)، *النكت في إعجاز القرآن*، تحقيق محمد خلف الله، ط3، دار المعارف المصرية، نقلا عن عبد الفتاح لاشين، *الخصومات البلاغية والنقدية في صناعة أبي تمام*
- أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الآمدي البصري، (1944). *الموازنة*، منيل الروضة.
- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ. (1998). *البيان والتبيين* (الإصدار 7، المجلد 1). القاهرة: مكتبة الخانجي.
- أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري. (بلا تاريخ). *الصناعتين* (الإصدار 2). مصر: دار الفكر العربي.
- أرسطو طاليس. (بلا تاريخ). *فن الشعر*. (عبد الرحمن بدوي، المترجمون) لبنان: دار الثقافة.
- الأزهر الزنّاد. (2010). *نظريات لسانية عرفنية* (الإصدار 1). تونس: دار محمد علي.
- أمبرتو إيكو. (2005). *السيمائية وفلسفة اللغة* (الإصدار 1). (أحمد الصمعي، المترجمون) بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- بول ريكور. (2003). *الخطاب وفائض المعنى* (الإصدار 1). (سعيد الغانمي، المترجمون) المغرب: المركز الثقافي العربي.
- جورج لايكوف ومارك جونسون. (2005). *الاستعارات التي نحيا بها* (الإصدار 1). (عبد المجيد جحفة، المترجمون) المغرب: دار توبقال للنشر.
- جورج لايكوف. (2005). *حرب الخليج أو الاستعارات التي تقتل*. (عبد المجيد جحفة؛ عبد الإله سليم، المترجمون) المغرب: دار توبقال.
- سعيد الحنصالي. (2005). *الاستعارة والشعر العربي الحديث* (الإصدار 1). المغرب: دار توبقال للنشر.
- صابر الحباشة. (2011). *تحليل المعنى*. عمّان: دار الجامد للنشر والتوزيع.

فلسفة التصوّر الاستعاري في ظل البحث المعرفي

طه عبد الرحمن. (1988). *اللسان والميزان* (الإصدار 1). المغرب: المركز الثقافي العربي.

عبد الإله سليم. (بلا تاريخ). *بنيات المشابهة في اللغة العربية* (الإصدار 1). المغرب: دار توبقال للنشر.

عبد الفتاح لاشين. (بلا تاريخ). *الخصومات البلاغية والنقدية في صنعة أبي تمام*. مصر: دار المعارف.

Searle, J. r. (1979). *Sens et expression*. Paris: les éditions de minuit.